

قراءة تاريخية عبر الذات



**بفلم الاستاد عمر لعربي
جامعة بشار**

قد يعتقد القاريء لأول وهلة يقرأ فيها هذا العنوان أنني بصدد الحديث عن موضوع فلسفي جدلي، لكن في حقيقة الأمر أنني إستلهمت هذه الفكرة كعنوان من خلال مداخلة الشاعر والروائي الكبير عز الدين ميهوبي خلال حضوري لليوم الدراسي حول أعمال هذا الشاعر و الروائي القدير يوم 27 فبراير 2014م المنظم من طرف الجمعية الثقافية للإبداع الأدبي رضا حوحو و التي يرأسها القاص الدكتور عبد القادر بن سالم، حيث خيل لي في بادئ الأمر أن النقاش يخص أحد أعلامنا ممن غادرو هذه الحياة، أقول ذلك لأننا أعتدنا أن نكرم و نقيم جلسات مماثلة لشخصيات رحلو عن عالمنا، ولذلك نثمن ما قام به

المسؤولون عن تنظيم هذا الحفل، خاصة أن هذه المبادرة من شأنها أن تعيد الثقة الغائبة في رجالات هذا الوطن من جهة، ومن جهة أخرى إمطة اللثام عن سر نجاح لأحد أهم أدباءنا المعاصرين. وبالعودة إلى أمسية الحفل الذي أقيم بمسرح السينماتيك وسط ولاية بشار، هذه القاعة الجميلة برونقها وديكورها كما وصفها شاعرنا الكبير، و هذا الوصف الدقيق لهو دلالة على قوة الملاحظة لدى الشاعر، الذي اختير من بين أفضل 500 شخصية عالمية في موسوعة "هوز هو" الأمريكية للعام 2004، كما أنه نال ميدالية ذهبية من المعهد الأمريكي للبيوغرافيا سنة 2006. لقد ركز الشاعر والروائي على دور كل واحد منا لقراءة ذاتية لمسار حياته من خلال سرد للحوادث التي مر بها. وبتعبيره الموجز عن حياته الشخصية، المليئة بالإنجازات والتي لا تخلو من معاناة و عراقيل دفعت به لتجاوزها ورسم مستقبل أفضل من ماضيه، كانت البداية من خلال سرد المرحلة الحساسة في حياة أي شخص ألا وهي مرحلة الطفولة، هذه المرحلة التي إتسمت لديه بالحرمان وعدم الإستقرار كون والده كان كثير الترحال، وأثناء سرده للأحداث المتسلسلة لاحظت أن القاعة سادها صمت عميق غاص فيه الحضور تأثراً بأسلوبه الشيق، و أكمل في سرد باقي قصة حياته من خلال شهادته على نفسه، كأسلوب صريح للتقويم الذاتي الذي دعى الجميع لتجربته. كما نوه الشاعر بتاريخ الجزائر الحافل بالإنجازات و لم يخفي قلقه بشأن كتابة هذا التاريخ من قبل صانعيه أو من عايشهم حتى لا يزول بزولهم. لقد لاحظت و خلال دراسة تحليلية لسر نجاح هذا الروائي الكبير والذي ما فتئ يصل و يجول عبر تخصصات عدة كالشعر و الرواية و الكتابة و غيرها ممثلاً هذا التنوع بشخص يجول عبر غرف منزله للقضاء على الروتين بحيث لكل غرفة ميزاتها و خصائصها، كما أنه وضع أن سر نجاح أي عمل يكمن في دراسة نظرية شاملة مسبقة للغرض المنشئ من أجله وعلى سبيل المثال لا الحصر فقد إلتجأ الكاتب الكبير إلى مجال الرياضة في حقبة صعبة عاشها شباب هذا الوطن الغالي بغية إحياء و دفع الشباب إلى التغيير عبر بدائل تنمي فيهم روح النشاط من جديد، ولعل جائزة "الحذاء الذهبي" إحدى أهم الإقتراحات التي لا تزال يقتدى بها إلى حد الساعة. كما أنه وضع نقطة هامة ينبغي لكل من يناشد النجاح إتباعها ألا وهي إستعمال أساليب الإثارة، هذه النقطة الحساسة تتجلى بوضوح خلال إحدى تدخلاته حيث أوضح أن الكتابات المبهمة المليئة بالتساؤلات في أعماله أكثر نجاحاً من غيرها و وضع عدة براهين على ذلك و لعل العناوين التي يختارها أكبر دليل على ذلك (اللعة والغفران، النخلة والمجداف، لا إكراه في الحرية ...). حيث أن العناوين و المقالات الغامضة تدفع بالقاريء إلى إثارة عدة تساؤلات و ربما إلى إعادة القراءة عدة مرات قصد الفهم الصحيح وهو من شأنه أن يضفي للعمل المنجز رونقاً و جمالاً.

و في الأخير لا يسعني إلا أن أثمن هذه التظاهرة عسى أن يتبعها تظاهرات أخرى تميظ اللثام عن أسرار شخصيات عظمى عاشت و ستموت لتخلد في سجل النسيان.